

عندما يشهد كاتب سعودي: "الفتنة .. القرني وآل الشيخ أنموذجاً"

طراد بن سعيد العمري*

الفتن يؤججها رجال الدين عندما يدسون أنوفهم في السياسة، والمحن تؤكدها الصحافة عندما يهرق بعض الكتاب بما لا يعرفون.

يجدر بنا التأكيد بداية لبعض من تأخذهم العاطفة بعيداً عن العقل، أن ما نكتبه أو ما كتبناه في السابق حول بعض الأمور السياسية الإقليمية، ليس تعاطفاً مع أحد بقدر ما هو دفاعاً وحماية لهذا الوطن في حقبة من أصعب الحقب، إذ تمر السعودية اليوم بمرحلة من أدق مراحلها وأكثرها حساسية وخطورة مما يتطلب الحيطة والحذر من الفتنة السياسية المتعلقة أو المتلبسة بالدين. فالخصومة السياسية مع إيران وبالأخص مع موسم حج هذا العام، تلبست ثوباً عقائدياً رفعت درجة التنافر والتلاسن والتقاذف إلى درجة تعقّد وتضعب عمل السياسي بشكل مضاعف.

تغريدة الشيخ د. عائض القرني بعد حج هذا العام، الذي غاب عنه حجاج إيران، كانت في غير محلها ومن غير أهلها. كما أن تغريدة الكاتب الجدلي في صحيفة الجزيرة محمد آل الشيخ ضد مصر ورئيسها بسبب مؤتمر "غروزني" خارجة عن الأصول من كاتب يلبس اسماً دينياً.

وهنا نجادل أن حشر الدين شكلاً أو مضموناً أو اسماً في السياسة هو أمر مضر بالسياسة السعودية ويجب الحذر منه.

المسألة الأولى: كتب الشيخ د عائض القرني تغريدة شاذة يقول فيها: "نحج حج هذا العام بنسبة 100/100 والسبب بعد توفيق الله غياب إيران الدولة الصفوية المجوسية أم الفتن والإرهاب في العالم" #الحجيدونيايرانتنظيموامان". لمتابعين في حسابه يفوقون (14) مليوناً، وبذلك نزل الشيخ الدكتور القرني من وقاره الذي جمعه خلال ربع قرن من الزمان بعد أن فقدته ومجموعة من طلبة العلم معه خلال حرب الخليج الأولى (1991) عندما حشروا أنوفهم في السياسة وأدى ذلك إلى نشر غازي القصيبي، رحمه الله، رسائله في كتاب "حتى لا تكون فتنة" لثلاثة كانوا يشكلون الواجهة حينذاك: عائض القرني؛ وسلمان العودة؛ وناصر العمر. كان تحذير القصيبي، حينها، من تدخل فقهاء الدين في السياسة ومحاولة اختطاف الدولة.

اليوم يعود البعض من فقهاء الدين للسياسة عبر بوابة الخصومة السياسية مع إيران للإيحاء، بحق أو باطل، أنهم مع الدولة في الخصومة مع إيران، وهذا من وجهة نظرنا فح يجب التنبيه له والحذر منه، لأن مآلاته سيئة تفقد الدولة زمام القيادة والسيطرة وتحيل الأمر إلى تراشق بين العمائم واللقى في السعودية وإيران، وهذه هي الفتنة.

المسألة الثانية: يعلم الشيخ د. عائض القرني، جزاه الله عنا خير الجزاء، أن مكانته جاءت على خلفية ما يقدمه من علم نافع في أمور الدين والحياة التي يحتاجها الفرد العادي الذي يغالب التطور والتسارع المدني بدليل حجم المتابعين، وليس كفقيه يدس أنفه في السياسة "القدرة" Politics Dirty، التي لا يعلم بالتأكد مساربها ومشاربها، أو طالب علم مرتبك يحتاج إلى أن يعيد إثبات ولاءه لولاة الأمر. فلو اكتفى بتغريدة التهئة والتبريك بنجاح الحج لكان الوقع أفضل ووصلت تغريدته إلى كل من عمل وساعد في خدمة الحج ونجاح الحج هذا العام. أما أن يتجرأ على ذلك ويربط نجاح الحج بغياب إيران، أو يتهم إيران الدولة المسلمة التي تضم قرابة (80) مليوناً بأنها "الصفوية المجوسية أم الفتن والإرهاب" فهذه سقطة طالب علم يدرك خطأها وشذوذها وأنها ليست مقبولة دينياً أو إنسانياً أو سياسياً أو عقلياً أو منطقياً. فعندما تعود إيران للحج في المستقبل وتلتزم باشتراطات الحكومة السعودية يوماً ما فهل ستخرج إيران من الأوصاف الأبدية التي ذكرها فضيلة الشيخ القرني؟ شتم إيران من طالب علم ديني سعودي معروف، سيؤدي في أبسط الحالات إلى أن ينبريء أكثر من طالب علم ديني في إيران بشتم السعودية بأوصاف لا تقل عن أوصاف شيخنا ودكتورنا عائض القرني. ثم ماذا؟ النتيجة تسليم دفعة القيادة لرجال الدين لكي يعيثنوا ويعبثوا، وهذا خطر فادح.

المسألة الثالثة: كتب الصحفي الجدلي في صحيفة الجزيرة محمد آل الشيخ تغريدة شاذة يقول فيها: "مشاركة شيخ الأزهر بمؤتمر "غروزني" الذي أقصى المملكة من مسمى أهل السنة يحتم علينا تغيير تعاملنا مع مصر فوطننا أهم ولتذهب مصر السيسي إلى الخراب". وأتبعها آل الشيخ بتغريدة أكثر شذوذاً يقول فيها: "كذباً مع السيسي لان الأخونج والسلفيين المتأخونين أعداء لنا وله، اما وقد ادار لنا ظهر المجن في قروزني وقابلنا بالنكران فليواجه مصيره منفرداً". بالتغريدتين التي أطلقها آل الشيخ عبثاً ضد مصر ورموزها السياسية والدينية بسبب مؤتمر هامشي حدث في "غروزني"، زاد الطين بلة من حيث يدري أو لا يدري الكاتب وكأنه يقول مقولة جورج بوش "الابن" الغبي: "من ليس معنا فهو ضدنا"، وبهاتين التغريدتين يساعد آل الشيخ في زيادة مؤامرة العزلة على السعودية والتي طالما يشتكي منها آل الشيخ. فإذا كانت السعودية يراد لها أن تعزل عن محيطها العربي في اليمن، والخليج، والعراق، وسوريا، ولبنان، فهل يضيف لها آل الشيخ مصر العروبة، بتغريدات عبثية؟

المسألة الرابعة: لم يقتصر هجوم الكاتب الجدلي محمد آل الشيخ على تفنيد سياسي، بل تناول على مؤسسة دينية عريقة وشيخها الوسطي الحكيم المعتدل الدكتور أحمد الطيب، وكأن الكاتب يحاول تأجيج العزلة الدينية للسعودية في وقت تتزايد فيه محاولات العزل واتهام "الوهابية" في مشارق الأرض

ومغاربها. نسي الكاتب الجدلي محمد بن عبداللطيف آل الشيخ أنه ذاته ينتمي إلى عائلة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، رحمه الله، وأنه غير مقبول منه التطاول على الآخرين في النواحي الدينية لأن ذلك سيزيد من حمى الهجمات على السعودية. في المقابل، يعتبر البعض أن كتابات آل الشيخ ضد التطرف والتكفير ومواجهته "الأخونج" كما يسميهم على الدوام، هو نقد ذاتي محمود يحقق نوع من التوازن بين الاتهامات الموجهة للمؤسسة الدينية وبين رأي فيه نقد أو جلد ذاتي من داخل "الوهابية". فالكاتب الجدلي محمد آل الشيخ يقول في تغريدة: "حينما تضع نفسك وكيلًا عن الله جل شأنه في الأرض فتكفر هذا وتزندق ذاك لأنه يختلف معك فأنت تعطيه الفرصة لان يفعل ذات الفعل تجاهك". ونحن نتفق تمامًا، ونقول للكاتب آل الشيخ: يا أيها الرجل المعلم غيره **هلاّ لنفسك كان ذاك التعليم.

المسألة الخامسة: لدينا هنا طالب علم ديني مثل د. عائض القرني ركب موجة السياسة في السابق إبان حرب الخليج الأولى وأخضعها ومن معه لتخريجاتهم الدينية، واليوم يعاود الكرة ويخرج دولة بأكملها وشعبها الذي يفوق (80) مليون نسمة من الرسالة المحمدية. يكرر ذلك الشيخ القرني، بعد ربع قرن من محاولة سابقة كان الظن بأنه تعلم منها وعقلها، لكنه يعود ليتمسح بالسياسة "القدرية" فيصب الزيت على النار. ولدينا طالب صحفي مثل محمد آل الشيخ يخلط السياسة بالدين ويلبس اسمًا دينيًا منحه شيئًا من الوجاهة والحصانة فلم يعطيها قدرها، ثم يزيد الطين بلة بالهجوم على دولة عربية كبرى هي ما تبقى للسعودية ناصراً ومعيناً بعد الله سبحانه. كلا الاثنین انساقوا خلف قضايا سياسية لا يدركون حساسيتها وتوقيتها طناً منهم أنهم يدافعون عن السعودية وأنهم ينتهجون أفضل السبل للذود عن حياض الوطن و يحسبون أنهم يحسنون صنعا. لو أي منهم فكّر قليلاً قبل أن تأخذه العاطفة أو الحميّة أو العصبية، وتأمل التأليب على السعودية من الولايات المتحدة، وبريطانيا، والاتحاد الأوروبي، وروسيا، وتركيا، وإيران، والعراق، وسوريا، ولبنان، واليمن، لما كتب التغريدات، ولقال خيراً يجمع ولا يفرق، ويحب ولا يكره، أو صمت.

المسألة السادسة: ليس أخطر على السياسة من حشر الدين في ثناياها لسبب بسيط وهو أن الخصومة السياسية لها حساباتها التي لا يدركها رجل الدين بعفويته ومثاليته، لكن عندما يركب رجل الدين السياسة يصبح لا مكان لرجل السياسة في المعادلة، وهذا ما يجب الحذر منه. الخصومة بين السعودية وإيران هي سياسية بامتياز، وستؤول إلى الحل عاجلاً أو آجلاً بدهاء وفن الساسة، أما فتح نافذة في العلاقات الدولية يدخل منها الديني فذلك يعقد ويصعب المفاتيح على السياسي. كما أن حشر طالب العلم الديني نفسه في السياسة هو هدر لوقار العلم الشرعي الذي يستند ويتكئ عليه لتبليغ رسالته الإيمانية. وخصوصاً، كطالب علم من أمثال الشيخ د. عائض القرني الذي يتابعه أكثر من (14) مليوناً، فيهم العالم والمثقف والأمي والجاهل، ولا يعلم القرني كيف تُفهم تغريدته أو كيف يتفاعل معها الأتباع. وهنا تكمن المعضلة. أما الكاتب الجدلي محمد آل الشيخ فشخصه ورأيه ليس بذات أهمية سياسية أو ثقافية أو اجتماعية، إلا أنه يُستشهد بآرائه أما ضد عائلته الكريمة التي لها مكانة لدى الدولة

والمجتمع في السعودية، أو "الوهابية" التي بات يلوکها الإعلام الغربي والعربي زوراً وبهتاناً، لكنه الكاتب آل الشيخ يضرب بكل تلك المحاذير والمعايير عرض الحائط.

المسألة السابعة: الموقف السياسي للسعودية اليوم حرج وحساس ويجب على الدولة أن تمنع بداية كل من هو محسوب على الفضاء الديني من اختطاف السياسة لأن في ذلك فوضى تؤدي إلى فتنة تخرج الأمر عن القيادة والسيطرة. السعودية دولة قوية ومدنية ومستقلة وذات سيادة، تقوم بواجباتها ومسئولياتها حسب ما تمليه مصالحها وعلاقاتها الدولية وترفض تسييس الشرائ والمشاعر الدينية، ونجاح حج هذا العام جاء بتوفيق من الله سبحانه ثم بجهود ولاة الأمر وكافة أجهزة الدولة التي تتفانى في كل عام لكي يكون الحج وتنظيمه أفضل من سابقه. أما إيران فهي دولة جارة وشقيقة ومن أبرز الدول الإسلامية مهما بلغت خصومتها السياسية مع السعودية فلا يخرجها ذلك من الملة ولا يخرجها سقطة طالب علم في تغريدة الشيخ د. عائض القرني. أما أرض الكنانة مصر، أرض العروبة ورئيسها وحكومتها وأزهرها الشريف، أقدم وأكبر مؤسسة إسلامية في العالم والشيخ د. أحمد الطيب الشيخ الفاضل، فلن يبعدهم عن السعودية تغريدة كاتب جدلي مثل محمد آل الشيخ، الذي يأخذ المجتمع السعودي آراءه بقليل من الملح.

ختاماً، الفتن يؤججها رجال الدين عندما يدسون أنوفهم في السياسة، والمحن تؤكد الصحافة عندما يهرف بعض الكتاب بما لا يعرفون. نعوذ بالله من الفتن والمحن، حفظ الله الوطن.

*كاتب سعودي